

رسالة في التوحيد و الشرك



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدمة

قام علماء الاسلام بتفسير معنى التوحيد و مغزاه
في علوم مختلفة إسلامية، منها:

1. علم الكلام الإسلامي.

2. علم العرفان الإسلامي.

و هدف الطائفة الأولى من العلماء هو تمييز التوحيد
عن الشرك في العقيدة الإسلامية و دراسة مراتب
التوحيد من وجهة نظر الكتاب و السنّة، لتصحيح
عقائد الناس و المنع من الابتلاء بألوان الشرك.
و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام
في قوله:

"اول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال
التصديق به توحيده و كمال توحيده الاخلاص له و كمال
الاخلاص له نغى الصفات عنه، لشهادة كل صفة انها
غير الموصوف و شهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن
وصف الله فقد قرنه و من قرنه فقد ثناه و من ثناه فقد

جزاه و من جزاه فقد جهله و من جهله فقد اشار اليه و
من اشار اليه فقد حده و من حده فقد عده. (نهج البلاغة،
الخطبة الاولى).

أما مراد الطائفة الاخرى هو معرفة مقام التوحيد
للوصول إلى المراتب العليا من الكمال الإلهي
للإنسان، كخليفة الله تعالى في أرضه.
فذهب بعضهم إلى أنّ السالك إلى الله يجب عليه
أن يمرّ على سبعة وديان كالتالي:

- وادي الطلب.
 - وادي المحبّة.
 - وادي المعرفة.
 - وادي الاستغناء.
 - وادي التوحيد.
 - وادي الحيرة.
 - وادي الفقر و الفناء.
- و ذكر بعضهم الآخر تفاصيل أكثر حول مراحل السير
إلى الله عزّ و جلّ و قال:

انّ المراحل التمهيديّة للسير الكمالي إلى الله تعالى

هي ستّ كما يلي:

- الإيمان.
- الثبات.
- النية.
- الأمانة.
- الصدق.
- الإخلاص.

و اما المراحل الرئيسية لاجتياز العقبات في الطريق،

فهي كالتالي:

- التوبة.
- الزهد.
- الفقر.
- الرياضات النفسية.
- المحاسبة.
- المراقبة.

ثمّ يصل الدور إلى مراحل نفس الحركة و السير
المعنوي إلى الله تعالى ، و هي كما يلي:

- الخلوة.
- التفكّر.
- الخوف.
- الرجاء.
- الصبر.
- الشكر.

و أما حالات السالك في مسيره إلى الهدف
الأسمى، فهي كالتالي:

- الإرادة.
- الشوق.
- المحبّة.
- المعرفة.
- اليقين.
- السكون (اطمئنان النفس).

و في نهاية المطاف، أشاروا إلى حالات السالك بعد
الوصول إلى لقاء الله، و هي كما يلي:

- التوكّل.
- الرضا.
- التسليم.
- التوحيد.
- الاتّحاد.
- الوحدة.

هذه هي كلمات بعض علماء العرفان في تبين موقع
التوحيد في مراحل السير إلى الباري تبارك و تعالى.

إنّنا - في هذه الرسالة الموجزة - نهتمّ بدراسة
مبحث التوحيد من الناحية الاولى و من وجهة نظر
علم الكلام الإسلامي. فإنّ هذا الموضوع قد صار في
الأعصار المتأخرة محطاً للأنظار و معركة للآراء بين
الفرق المذهبية المختلفة في العالم الإسلامي.

معيار التوحيد و الشرك

من أهم المسائل المطروحة في مباحث التوحيد والشرك هو معرفة المعيار فيهما ، وما دام هذا السؤال باقياً من دون إجابة فلا يمكن الإجابة عن بعض الأسئلة الأخرى المبنية عليه أيضاً ، فالإجابة عن هذا السؤال بمنزلة الأساس لغيره من الأجوبة أيضاً . ومن هنا سنطرح فيما يلي مسائل التوحيد والشرك بصورة مختصرة :

1- التوحيد في الذات

التوحيد في الذات يطرح بشكليين ، هما :
أ- إنّ الله واحد ، وليس له مثل أو نظير ، وهو التوحيد الذي ذكره الباري في كتابه العزيز بصور مختلفة ،
كقوله تعالى :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)⁽¹⁾ .

وقوله في موضع آخر :

(وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)⁽²⁾ .

لكن قد يفسر هذا التوحيد الوارد في الآية بتفسير ساذج ينسجم مع أذهان عوام الناس ، فيأخذ صبغة التوحيد العددي ؛ وهو أن يقال : إنّ الله واحد لا إثنان .

ومن الواضح أنّ التوحيد العددي لا يناسب مقام العظمة الإلهية .

ب - أنّ الذات الإلهية بسيطة لا تركيب فيها ، فإنّ التركيب في الموجود دليل على حاجته ، سواء كان التركيب في الأجزاء أو كان التركيب ذهنياً ؛ لأنّ التركيب في موجود معيّن دليل على حاجته إلى أجزائه ، والحاجة علامة الإمكان ، والإمكان يلزم الحاجة إلى العلة ، وكلّ ذلك ينافي وجوب الوجود .

(1) الشورى : 11 .

(2) التوحيد : 4 .

2. التوحيد في الخالقِيَّة

التوحيد في الخالقِيَّة هو أحد مراتب التوحيد ، وقد آيَّده العقل والنقل . فدَلَّ العقل على أنّ كلّ ما في عالم الإمكان من الموجودات فهو عار عن كلّ جمال وكمال ، وأنّ كلّ جمال وكمال في الوجود فهو من منبع الفيض ، أعني الغني بالذات ، واجب الوجود . فكلّ ما نشاهده من الجمال والكمال فهو جماله وكماله تقدّست أسماؤه .

وأما النقل فقد دلّت الآيات الكثيرة بصراحة على هذا النوع من التوحيد ، نظير قوله تعالى :

(قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)⁽³⁾ .

فعلى هذا لا يمكن أن يتصوّر خلاف في أصل التوحيد في الخالقِيَّة .

نعم ، يوجد تفسيران للتوحيد في الخالقِيَّة ، هما :

(3) الرعد : 16 . ونظير الآية 102 من سورة الأنعام : (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) .

أ - إنّ كلّ ما في الوجود من نظام العلّية والمعلوليّة أو الأسباب والمسبّبات بين الموجودات فلا بدّ أن ينتهي إلى علّة أصيلة هي علّة العلل ، ومسبّبة الأسباب ، هو الخالق المستقلّ والأصيل لتمام المخلوقات ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وتأثير ما عداه في معلولاته تأثير بالتبع وبإذن الله ومشئئته .

فالأساس الذي اعتمده هذه النظرية هو نظام العلّية والمعلوليّة في الوجود ، الذي توصل إليه العلم أيضاً . وفي نفس الوقت اعترفت هذه النظرية بأن جميع الكون متعلّق بنحو من الأنحاء بالله سبحانه ، فهو الذي أبدع هذا النظام وهذا العالم ، وهو الذي أفاض السببية على الأسباب ، والعلّية على العلل والتأثير على المؤثرات .

ب - إنّّه لا يوجد في الوجود إلّا خالق واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، ولا تأثير في الوجود لشيء على شيء ، وإنّما التأثير منحصر في الباري جلّ وعلا ، فهو المؤثر في جميع الأشياء من دون واسطة ،

فجميع الظواهر الطبيعيّة من آثاره سبحانه بلا واسطة شيء آخر ، حتى إنّ قدرة البشر في الأفعال لا تأثير لها أيضاً .

وعلى هذا فليس في الوجود إلّا علّة واحدة هي الله سبحانه وتعالى ، بل إنّ الله سبحانه هو القائم مقام جميع العلل الطبيعيّة التي توصل إليها العلم .

لكن هذا التفسير للتوحيد في الخالقيّة إنّما يقول به بعض علماء الأشاعرة ، وأنكره آخرون منهم ; نظير إمام الحرمين⁽⁴⁾ ، والشيخ محمّد عبده في رسالته في التوحيد ، حيث وافقوا التفسير الأوّل للتوحيد .

3- التوحيد في التدبير

لما كان الخلق منحصراً في الباري جلّ وعلا ، كان تدبير نظام الوجود منحصراً فيه أيضاً ، ففي الوجود لا مدبّر إلّا الله سبحانه وتعالى .

(4) الملل والنحل للشهرستاني ، ج 1 .

والدليل العقلي الذي يثبت التوحيد في الخالقية
بنفسه يُثبت التوحيد في التدبير أيضاً .

وأما الدليل النقلى ، فقد دلّ القرآن الكريم في آيات
عديدة على أنّ المدبّر الوحيد في العالم هو الله
سبحانه وتعالى ، كقوله تعالى :

(قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) (5) .

ويجري نفس التفسيرين اللذين ذكرناهما للتوحيد
في الخالقية هنا ، ففي نظرنا أنّ المراد من التوحيد
في التدبير هو انحصار التدبير الاستقلالي به سبحانه
وتعالى . وعليه فالتدبير بين الموجودات المختلفة
في العالم كلّها تدبيرات بالتبع ، وكلّها بإرادته
ومشيئته سبحانه وتعالى ، وهذا ما أشار إليه القرآن
الكريم بقوله :

(فَأَلْمَدِبَّرَاتِ أَمْرًا) (6) .

(5) الأنعام : 164 .

(6) النازعات : 5 .

4. التوحيد في الحاكمية

التوحيد في الحاكمية تعني أنّ الحكومة كحقّ ثابت لا يمكن إزالته مختصةً بالله سبحانه وتعالى ، فهو الوحيد الذي له الحكم على الأفراد ، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم بقوله :

(إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)⁽⁷⁾ .

وعلى هذا الأساس يجب أن تكون حكومة الآخرين بمشيئته وإرادته سبحانه ، كي يقود الصالحون الناسَ إلى الهداية ، ويوصلوهم إلى شاطئ السلام ، وينزلوهم منازل السعادة والكمال ، كما يقول تعالى :

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)⁽⁸⁾ .

(7) يوسف 40 ، والأنعام : 57 .

(8) ص : 26 .

5. التوحيد في الطاعة

التوحيد في الطاعة يعني أنّ من تجب طاعته ويلزم اتّباعه بالذات هو الله سبحانه وتعالى . وعليه فطاعة غيره من نبيّ ، أو إمام ، أو فقيه ، أو والد ووالدة ، أو...كلّها بأمره وإرادته سبحانه وتعالى .

6. التوحيد في التقنين والتشريع

التوحيد في التقنين يعني أنّ حقّ التشريع ووضع الأحكام والقوانين مختصّ به سبحانه . ومن هنا فإن القرآن الكريم يصف الحكم الذي يخرج عن إطار التشريع الإلهي بأنه سبب للكفر تارة ، وللفسق أخرى ، وللظلم ثالثة ، وذلك حين يقول :

(وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)⁽⁹⁾ .

(وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)⁽¹⁰⁾ .

(9) المائة : 44 .

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ)⁽¹¹⁾ .

7 - التوحيد في العبادة

أهم بحث في هذا النوع من التوحيد هو تحديد
معنى العبادة ; فإن جميع المسلمين متفقون على
اختصاص العبادة بالله ، ولا يجوز عبادة غيره ، وهو ما
أكده القرآن الكريم بقوله :

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)⁽¹²⁾ .

ويستفاد من الآيات الكريمة وجود أصل تشترك فيه
دعوة جميع الأنبياء ، وتمام سفراء الله سبحانه الذين
بعثهم لتبليغ الأديان ، فالقرآن الكريم يصرح بقوله :

(وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ
وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)⁽¹³⁾ .

(10) المائة : 47 .

(11) المائة : 45 .

(12) الفاتحة : 5 .

فهذه الآية تبين وجود أصل متفق عليه بين الرسل وهو أنّ العبادة مختصة بالله سبحانه ، ولا يجوز عبادة غيره . وعليه فلا كلام في هذه الجهة ; لعدم الخلاف فيها .

إنّما الكلام في المعيار الذي نشخص به العبادة عن غيرها . فمثلاً تقبيل يد المعلّم ، أو يد العالم ، أو يد أحد الوالدين ، أو أمثالهم من ذوي الحقوق ، هل يعدّ عبادة لهم ؟ أم أنّ معنى العبادة ليس هو مطلق الخضوع والتذلل ، وإنّما يجب أن يتوقّر في الخضوع عنصر آخر كي يكون عبادة ، وما لم يتوقّر هذا العنصر في حقيقة العمل فلا يعدّ عبادة ، حتى لو كان الخضوع في حد السجود .

والآن يجب معرفة هذا العنصر الذي به يكون الخضوع عبادة ، وهذه المسألة مهمّة للغاية .

الفهم الخاطئ للعبادة

عرّف بعض الكتّاب العبادة بأنها «الخشوع»، أو «الخشوع الشديد». فواجهوا مشكلة في تفسير جملة من الآيات الكريمة ، حيث صرّح القرآن الكريم بأننا أمرنا الملائكة بالسجود لآدم ، وذلك قوله تعالى :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) (14).

فالسجود لآدم(عليه السلام) كان بنفس الطريقة والهيئة التي كانوا يسجدون فيها لله سبحانه ، والحال أنّ السجود الذي سجده لآدم كان لإظهار وإبراز التواضع ، بخلاف سجودهم لله فإنّه عبادة .

فيقع السؤال التالي : لماذا اختلفت حقيقة هذين

السجودين مع اتّحادهما في الهيئة ؟

ويبيّن الباري في موضع آخر من الذكر الحكيم أثناء سرده قصة يوسف(عليه السلام) أنّ يعقوب(عليه السلام) سجد لولده ، حيث يقول :

(14) البقرة : 34 .

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) (15) .

والمراد من الرؤيا في الآية هو ما رآه يوسف(عليه السلام) قبل ذلك في المنام حيث رأى أحد عشر كوكباً و الشمس و القمر له ساجدين ، والذي ذكره الباري عن لسان يوسف بقوله :

(يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (16) .

فمن تفسير يوسف(عليه السلام) وتأويله سجود أبيه وأهله له بما رآه سابقاً في المنام ، يتضح أنّ المراد من (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) هو إخوته الأحد عشر والمراد من (الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) هو والديه .

(15) يوسف : 100 .

(16) يوسف : 4 .

وبهذا يتّضح أنّه لم يكن السجود ليوסף من قبل إخوته فقط ، وإنّما سجد له أبوه يعقوب(عليه السلام) أيضاً وهو نبيّ معصوم .

فهنا يقع السؤال التالي : لماذا لم يكن هذا السجود - والذي فيه تمام الخضوع - عبادة ؟

عذرٌ هو أقبح من الفعل

تحرّير الكتاب المشار إليهم سابقاً في الجواب عن هذا السؤال ، فقالوا : لما كان هذا الخضوع بأمر الله سبحانه وتعالى لم يكن شركاً .

لكنّ هذا الجواب ليس بناضج كما هو واضح ; فإنّ الله لا يأمر بالعمل إذا كانت حقيقته شركاً . فالقرآن الكريم يقول :

(قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)⁽¹⁷⁾ .

(17) الأعراف : 28 .

وأساساً فإن أمر الله بالشيء لا يغيّر حقيقة الشيء ، فإذا كانت حقيقة الخضوع لإنسان عبادةً له ، ومع ذلك فقد أمر به الباري سبحانه ، فنتيجته هو الأمر بعبادته .

جواب الإشكال وبيان المعنى الحقيقي للعبادة

أتّضح لحدّ الآن أنّ حرمة عبادة غير الله من موارد اتّفاق جميع المسلمين ، وجميع الموحّدين لله سبحانه . كما اتّضح أنّ سجود الملائكة لآدم(عليه السلام) ، وسجود يعقوب(عليه السلام) وأولاده ليوسف(عليه السلام) لم يكن عبادة لهما .

والآن لتأمّل في السبب الحقيقي الذي جعل فعلاً واحداً له نفس الخصائص عبادة تارة ، وخارجاً عن نطاق العبادة أخرى .

بمراجعة الآيات الكريمة يتّضح لنا أنّ العبادة هي الخضوع أمام موجود معيّن مقترناً مع اعتقاد ألوهيّته ، أو نسبة الأفعال الإلهيّة إليه . ومن خلال هذا البيان

يتّضح أنّ العنصر الرئيسي الذي يجعل الخضوع عبادة تارة ويخرجه عن حيّز العبادة أخرى هو اعتقاد ألوهيّة ذلك الذي يخضع له ، أو أن ينسب الأفعال الإلهيّة إليه ، فإذا اقترن الخضوع بهذا الاعتقاد اكتسب صبغة العبادة .

فكان مشركو العالم - سواء من كان منهم في شبه الجزيرة العربيّة أو غيرها - يخضعون لأصنام وموجودات يعتقدون أنّها مخلوقة لله ، لكنّهم مع ذلك يعتقدون أنّ بعض الأفعال الإلهيّة - كغفران الذنوب والشفاعة - موكلة إليهم .

كما كان بعض مشركي بابل يعبدون أجراماً سماويّة يعتقدون أنّها أرباب لهم - لا أنّها خالقة لهم - وإنّما يعتقدون أنّها المدبّرة لشؤونهم ، والمسيرة لهذا العالم ، وأنّ أمر الناس موكل إليهم ، ولهذا فإنّ مناظرة نبيّ الله إبراهيم الخليل(عليه السلام) مع مشركي بابل كانت على هذا الأساس ; فإنّه لم يكن من عقيدة مشركي بابل أنّ الشمس والقمر

والنجوم آلهة خالقة لهم ، وإّما كان من عقيدتهم أنّ
الشمس والقمر والنجوم مخلوقات قادرة ، أوكل لها
إدارة الكون وتديير الأمور .

والآيات الكريمة التي ذكرت وبيّنت مناظرة نبيّ الله
إبراهيم الخليل(عليه السلام) مع مشركي بابل
اعتمدت واتّكأت على لفظة «الربّ» ، وهي تعني
«الصاحب» و «المدبّر للمملوكات» . فالعرب يسمّون
صاحب البيت «ربّ البيت» ، وصاحب المزرعة «ربّ
المزرعة» ، لأنّ تديير أمور البيت على عهدة صاحبه
وتديير أمور المزرعة على عهدة صاحبها .

فالقرآن الكريم يصدع بأن الله سبحانه هو المدبّر
الوحيد للكون ، وبهذا فقد نهض الباري جلّ وعلا
لمبارزة المشركين ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده
بقوله عزّ من قائل :

(إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (18) .

وقال في موضع آخر :

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (19) .

وقال في موضع ثالث :

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) (20) .

وقال حاكياً عن لسان عيسى (عليه السلام) :

(وَ قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) (21) .

فيعلم مما مضى بوضوح أنه لا يمكن عدّ الخضوع الذي لا يقارنه اعتقاد الألوهية عبادة ، حتى لو كان في أعلى درجات الخضوع والتذلل . وكذا نسبة

(18) آل عمران : 51 .

(19) الأنعام : 102 .

(20) الدخان : 8 .

(21) المائدة : 72 .

الأفعال الإلهية إلى مخلوق معين لا يمكن عدّها
عبادة ما لم تقتربن باعتقاد الألوهية .

فعلى هذا الأساس لا يكون خضوع الولد أمام أبيه
وأمه ، وخضوع الأمة أمام النبيّ (صلى الله عليه وآله)
عبادة ؛ لفقدانه القيد المذكور .

وبهذا يتّضح الحال في كثير من المسائل نظير :
التبرّك بآثار أولياء الله سبحانه ، وتقبيل أضرحة وأبواب
مشاهد الأئمة والأولياء والصالحين ، والتوسّل بأولياء
الله وأحبّائه ، ونداؤهم ، وإحياء ذكريات ولاداتهم
ووفياتهم ، و... التي عدّها بعض الجهّال من
الشرك ، مع أنّه اتّضح بما ذكرناه أنّه ليس لها
بالشرك صلة .

إثبات التوحيد

و الآن نشير إلى بعض الدلائل العقلية على اثبات التوحيد و نفي الشرك.
استدلّ العلماء على إثبات التوحيد بأدلة كثيرة و نحن نذكر نبذة منها:

الدليل الأول

عندما ننظر إلى العالم من منظار العلم و التحقيق، نرى أنّ مجموعاتہ متماسكة و متناسقة كجهاز واحد ، و أنّ كل جزء من أجزائه وُضع في موضعه المناسب له ، و أنّ كلّ واحدة من الثوابت و السيّارات و المجرّات تدور في فلكها الخاص ، من دون حدوث خلل في حركاتها أو تعارض في مسيراتها.

و من هنا ندرك بأنّ مهندس الكون و مدبّر الأمر هو
إله واحد يشرف على نظام الخلق و الأمر و لا يوجد
من يعارضه أو يخالفه في إدارة شئون العالم.
و يمكن شرح هذا الدليل بمثال بسيط :
حينما نرى لوحة فنّية و فيها صورة طائر مثلا ، و هي
متجانسة الألوان و متناغمة الظلال و تشيع الروعة
في أرجائها ، لحكمنا بأنّ فنّانا واحدا قام برسمها و
تنسيق أركانها. و لو تعدّد الرسامون و رسم أحدهم
رأسه و الثاني رجليه و الثالث جناحيه و هكذا ... ،
لجاءت هذه الصورة أقرب إلى الكاريكاتير منه إلى
لوحة فنّية.

الدليل الثاني

لو كان للإله شريك ، لأرسل رسوله أيضا ، و أنزل
كتابه السماوي ، و أعلن عن وجوده و عرف نفسه
للإنسنة. لكنّ الأنبياء الذين أتوا بشريعة إلهية ، اعترفوا

بأنهم مرسلون من قِبَلِ إله واحد ، و هو خالق الكَوْن
وحده لا شريك له.

الدليل الثالث

لو كان هناك إله آخر غير الإله البارئ ، فلا يخلو
حاله من أمرين : إما أن لا يحتاج أحدهما إلى الآخر
في خلق العالم، أو يفتقر إليه.
فإن كان لا يحتاج إليه فوجود الإله الثاني عبث و غير
لازم. و إن كان يفتقر إليه ، فيثبت الاحتياج و الافتقار
في وجوده . و الحال أنّ الاحتياج إلى الغير عيب
فاحش و نقص بارز لا يناسب مؤسس الكَوْن و مُبدع
هذا الصرح العظيم بما فيه من الكبرياء و الجبروت و
الكمال و الجمال.

التوحيد و وحدة الوجود

نظرية وحدة الوجود - في الحقيقة - هي من مراتب التوحيد الذاتي للبارئ عزّ و جلّ. و لكنّ جماعة من غير الخبراء في علم العرفان ظنّوا أنّها بمعنى عينية الخالق و الخلق من جميع الجهات، و هذه هي من أجلي مراتب الشرك.

و فسّر بعض آخر هذه النظرية بأنّها تعني أنّ العالم كالجسد، و أنّ البارئ كالروح فيه.

و قال الآخرون بأنّها تعتبر العالم فعلا للبارئ، و الفعل لايفصل عن الفاعل، كما أنّ شعاع الشمس لايفصل من الشمس.

و اعتبرتها طائفة اخرى بمعنى أنّ العالم مجلى و مظهر للبارئ جلّ جلاله. و على أساس ذلك، لا يكون الخلق إلا ظلا وجوديا للخالق. فيكون كلّ شئ مستغرقا و مستهلكا في وجوده.

أما كلام الفلاسفة و العرفاء الشيعة في هذا المضمار، فهو من أجل تفسير كلام إمام المتقين و أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) حيث يقول:

"دليله آياته ، ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة ، إنه رب خالق، غير مربوب مخلوق". (الاحتجاج للطبرسي، الجزء الاول).

فقاموا بتفسير قوله (ع): و حكم التمييز بينونة صفة، لا بينونة عزلة.

و ذلك لأنّ الخلق هو من شئون البارئ و لا يمكن عزله عنه عزّ و جلّ. فالبارئ سبحانه محيط بالخلق، و لا يكون منعزلا عنه.

و من هذا المنطلق خاضوا في مباحث عميقة و مفصّلة في مسألة وحدة الوجود، لاتسعتها هذه الوجيزة المختصرة.

فمن أراد المزيد في هذا الخصوص فليراجع الفتوحات
المكيّة لابن العربي، و الأسفار الأربعة لصدر
المتألّهين الشيرازي و غيرهما.
